حول لفظ « الفشل »

أجمع اللغويون على تفسير « الفشل » بالجبن والفرع والضعف ، أو هو ضعف مع جبن ، كما قال بعضهم . ولم يخرج مفسرو القرآن الكريم عن ذلك فى الآيات التى ورد فيها هذا اللفظ : كقوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا » « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر »

ولكن الكتاب لهذا العهد درجوا على استعمال « الفشل » بمعنى الإخفاق والخيبة ، وأهملوا الوضع الأصلى للكلمة .

ولقد كنت نبهت على هذا الخطأ منذ بعيد فى إحدى المجلات[1] . وما كنت لأعود إليه ، لولا أن رأيت فى الرسالة عدد ٥٤٥ كلاماً فى هذا الموضوع للأستاذ الجليل عباس محمود العقاد يردّ به على الشيخ الفاضل محمود أبى رية

فقد عثر الشيخ فى كتاب « عبقرية الإمام » « ببعض ألفاظ كان يقف عندها ، مثل : ... وفشل ص٨١ و٩٦ و ١١٠ و ١٢٦ » قال : « هل يجوز استعمال كلمة (فشل) فى معنى أخفق وخاب ؟ »

فقال الأستاذ العقاد فى رده : أما (فشل) بمعنى أخفق فلها حكم آخر . فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين ، حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر ، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الخبوط والإخفاق »

وأنا أقول إن الإخفاق لا يلازم الضعف والتراخى حتماً ؛ فقد يكون الإخفاق نتيجة للضعف ، أو ما يدور حول الضعف من المعانى . وقد يكون نتيجة لعوامل أخرى لا تمت للضعف بصلة ؛ فقد يخفق الشجاع ، وينجح الجبان الضعيف فى أمر واحد يحاولانه معاً ؛ فالضعف شىء ، والإخفاق شىء آخر

ولو صح هذا التقارب بين المعنيين (حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر) ، لجاز أن يطلق الإخفاق ويراد به الضعف أو ما يلابسه من المعانى ، فيقال مثلاً : أخفق فلان فى كذا ، أى ضعف وجبن ، وهو ما لا يمكن فى اللغة

وقال الأستاذ العقاد فى دفاعه أيضاً : « وتجدد المعانى على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات ، وفى مقدمتها اللغة العربية ، فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم ، وتعقبنا معانيها فى العصور المختلفة ، لما وجدنا خمسين أو ستين فيها ثابتة على معنى واحد فى جميع العصور . وربما غلب المعنى الجديد ، وبطل المعنى القديم وهو أصيل فى عدة كلمات »

« خذ مثلاً كلمتى الجديد والقديم ، وكيف ظهرا ، ثم كيف تحولا[1] إلى الغرض الذى نعنيه الآن . فالثوب الجديد هو الثوب الذى قطع حديثاً من (جدّه) فهو جديد أو مجدود . وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها كما نقطعها اليوم ؛ فيسمونها جديدة من أجل ذلك »

« ثم نُسيت كلمة (الجديد) بمعنى المقطوع ؛ فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين . وأصبحنا نعبّر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هى من المحسوسات . فنقول (المعنى الجديد) و (الفكر الجديد) ، وما شابه هذه الأوصاف[2]

ثم ساق الأستاذ أمثلة أخرى لهذا من اللغة المأثورة ، وشرح تطور المعنى فيها وتحوله[3]

وأنا أقول إن هذا قياس مع الفارق . فإن العرب هم الذين استعملوا « الجديد » ـ مثلاً ـ فى المعنى الأصلى وما تفرع عليه بعد ذلك من المعانى ، للعلاقة التى شرحها الأستاذ ، تجوزاً سائغاً .

---

(١) أذكر أنى أسمعت شيئاً ما فى هذا التنبيه ، ولكنى الآن أعود إلى موقف التشدد .

(١) هكذا رهو سهو

(٢) فى قوله : (وأصبحنا نعبر بالجدة . . الخ) شىء من التسامح فى التعبير ، إذ العرب هم الذين عبروا من قبل . وكذا يقال فى قوله بعد ذلك « وقد نسى الناس (كتب البعير) بمعنى قيده ، وأطلقوها اليوم على الخط فى الورق .

(٣) راجع ص ٩٨٣ من الرسالة

وهـذا ديدنهم فى المجاز والاستعارة يلحون العـلاقة والمناسبة بين المعنيين ، فيستعيرون لفظ المعنى القديم للمعنى الجديد[1]؛ فتفرعت اللغة بهذا واتسعت ، وتحولت المعانى ، وتولد بعضها من بعض ، حتى عادت المعـانى المجازية أضعاف الحقيقية الأصلية

فالأستاذ العقاد جاء بأمثلة من المعجمات ليشرح بها هذا التحول المجازى ، المنبعث من مقتضيات التطور الطبيعى فى الأمة على ممر العصور

ولا كذلك نرى الحال فى لفظ (الفشل) : فهذا لفظ سَـلِمَ لنا بمعناه كاملاً ، لم يتحول ولم يتطور . وهان هذا المعنى القرآن الكريم . ثم تنقـل فى العصور هكذا ، عصراً بعد عصر ، حتى إذا كان عصرنا هذا أخطأ فى فهمه الناس ، وتناقلوا هذا الخطأ ، وثبتوا عليه ، ثم تلمسوا له المعاذير[2]

فليس تحوّله من معناه الوضعي إلى المعنى الفاشى الآن خاضعاً لسنّة التطور الطبيعى التى تخضع لها اللغات جميعاً وإنما هو وليد الخطأ فى الفهم

وليس معنى هذا أنه يمتنع التجوز فى هذا اللفظ على الإطلاق وإنما ندّعى هنا ـ كما أسلفنا ـ انعدام التقارب بين الإخفاق والضعف ـ على الوجه الذى قرره الأستاذ ـ ومن ثَمّ نُنكر « أن يحمل أحدهما قصد الآخر »

ثم نحا الأستاذ فى دفاعه منحى آخر فقال :

على أننى حين استعملت كلمة (فشل) لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون ؛ فقلت : (يحاول الغلبة من حيث فشل) ولو جعلت « فشل » هنا بمعنى ضعف ، لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة »

ثم ساق عباراته الثلاث الباقية التى استعمل فيها كلمة (الفشل) وأولها على هذا النحو

ولكنّا إن أسَأْنا فَهم (الفشل) فى هـذه العبارة بمعنى الضعف ، فكيف يمكن أن نسيغه فى قوله : « ولا طائل فى البحث عن علّة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر »

أو فى قوله :

« مُنى بالفشل ، لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة »

أو فى قوله :

« ولكنها خطـة سلبية لا يمتحن بهـا رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

أترك هذا لحكم القراء ولذوقهم

هذا ما عنانى من مقال الأستاذ الجليل ، علّقت عليه بما عن لذهنى الكيل

وبعد فليس من التزمت فى شىء أن نحارب أوضاعاً واستعمالات ليست من صميم اللغة الصحيحة ، ولا هى مما يُخرَّج تخريجاً مجازياً مقبولاً

وليس من التزمت فى شىء أن نعمل على أن نفهم لغة الفصحاء وكلام الله تعالى على الوجه الصحيح .

(ا . ع)

١ — هل عرفنا المؤلف

كان العلامة الأمير شكيب أرسلان نشر كتاب (محاسن المساعى فى مناقب الإمام أبى عمرو الأوزاعى) غفلاً من اسم مؤلفه وقد رأيت فى الجزء الثانى من (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى) فى ترجمة احمد بن محمد المعروف بابن زيد أن له تأليفاً بهذا الإسم عينه ، ثم رأيت فى فهرس دار الكتب المصرية مخطوطة بهذا الإسم نفسه منسوبة إلى الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى

وابن زيد المذكور معاصر لابن حجر وممن سمع عليه بدمشق كما يقول السخاوى . فلو كان له تأليف بهذا الإسم لعرف ذلك ابن زيد فسمى كتابه باسم آخر ، ولما خفى ذلك على السخاوى — وهو التلميذ الملازم لابن حجر وأعرف الناس بمؤلفاته — فيشير إليه فى ترجمة ابن زيد على احتمال اتفاقهما فى الإسم . ولعل الاطلاع على مخطوطة الدار تؤيد ما أذهب إليه .

٢ — أول غلط

قال (الأستاذ الجليل) الناقد المحقق فى كلمته القائمة عن (لاميه شمية بن غريض) ـ فى العدد ٥٥٢ من الرسالة ـ : وروى الإمام المرزبانى فى « معجم الشعراء » لشمية مقطوعة ختامها هذا البيت :

وأجتنب القاذع حيث كانت ... وأترك ما هويت لما خشيت

(١) كما هو شأن غيرهم فى سائر اللغات

(٢) كما حدث فى كثير من الكلمات الشائعة الآن فى أقلام الكتاب حتى علية منهم . ولكنهم يطرقون فى تسويغها أبواب المجاز ودون المجاز « تحفظات » لا تخفى عليهم . فليس كل مجاز مقبولا ، ولا كل استعارة مقبولة . وإنما يلجأ إلى المجاز فحرص بلاغى .

والصواب أن راوى المقطوعة هو الإمام الآمدى فى كتابه « المؤتلف والمختلف » وسبب غلط الأستاذ هو أن الكتابين « المعجم والمؤتلف » مطبوعان معاً فى مجلد واحد .

عبد الله ...

أدبى أدب حر

وصل خطاب من السودان يدعونى فيه كاتبه إلى أن أصحح ماينسب إلىّ فى بعض الجرائد والمجلات من الخروج فى كتابتى عما ألف الناس فى دنيوات التقاليد ، لئلا يؤذينى ذلك التجريح

وأقول إنى لا ألتفت إلى ما يكتب عنى ؛ ولا أدير بالى إلى خصومى ، لأنهم لا يصلحون للحكم فى قضية الأدب الرفيع

الأدب ليس مناحة تقام فى أحد الميادين على موت الأخلاق ، كما يفعل المرتزقون باسم الأخلاق ، وإنما الأدب هو الفهم لأسرار الوجود والتعبير عن أسرار الوجود ، بأصرح عبارة وأصدق بيان

إن كان فى الدنيا من يبكى على الأخلاق فسأكون أول الباكين على الأخلاق

كان قلمى الرائد لحرية الفكر والرأى ، وما رأيت إنساناً ينتاشنى بقلمه إلا تذكرت أن لى فى عنقه ألف جميل وجميل ، وإن كان الحزن يعصر قلبي حين أتذكر أن المنتفعين بأدبى لم يتخلقوا بأخلاق ، فقد كنت أحب أن يصيروا إلى ما صرت إليه من الاستغناء بالله عن الناس

لأكثر الخلائق فى هذا العصر سناد ، وأنا وحدى بلا سناد ؛ لأنى أعتمد على صاحب العزة والجبروت ، أعتمد عليه أملاً لا خوفاً ، لأنى آمن غضبه على أرباب القلوب

أدبى هو الأدب الحق ، فليبك ناس على أنفسهم لأنهم زوروا عواطفهم وسخروها لخدمة الفانين بصورة ملفوفة لا تزيد فى قوتها عن ثوب الرياء .

زكى مبارك

إصلاح تطبيع

فى المقالة « لامية شمية بن غريض » : الربيع بن الخفيز وهو الربيع بن الحقيق .

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للامتحانات

إعـــلان

قررت الوزارة عقد لجنة لامتحان شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص هـذا العام بمدينة شبين الكوم لطلبة وطالبات مديرية المنوفية للشعب الثلاث

١٨١٧

وزارة الدفاع الوطنى

تقبـــل العطاءات لغاية ظهر يوم ١٩٤٤/٢/١٥ عن توريد جلد باكته ـ دوبارة للطرود ـ لباد ـ قماش كبود ـ مشمع ـ حبل ربط للشمعات والشروط بإدارة المشتريات والعقود ١٨٢١

إعلان

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للتعليم الحر

تحتاج المدارس الحرة الابتدائية المعانة الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف إلى مدرسين لتدريس اللغة الإنجليزية والمواد الأدبية فعلى راغبى الالتحاق بهذه الوظائف من حملة المؤهلات الفنية فى التدريس أو الحاصلين على ليسانس الآداب أو بكالوريوس التجارة العليا أو ما يعادلها تقديم طلباتهم إلى المراقبة العامة للتعليم الحر فى ميعاد لا يتجاوز ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤ على الاستمارة ع . ح وكل طلب سابق لذلك لا يلتفت إليه ١٨٣٩